OPEN ACCESS: Al-Aijaz Research Journal of Islamic Studies & Humanities
ISSN (ONLINE): 2707-1219 & ISSN (PRINT): 2707-1200
http://www.arjish.com

نشأة شعر المديح النبوي من البداية إلى الآن

The Origination of Poetry Prophet's Praise from Beginning to this Time

Prof. Dr. Matloob Ahmad
Dean Faculty of Arts & Social Sciences, The University of Faisalabad.
Email: dean.is@tuf.edu.pk

Dr. Mufti Muhammad Saleem
(Correspending Author) Research Officer, Department of Arabic, G.C. University, Faisalabad.
Email: drnaqshbandi@gcuf.edu.pk

Dr. Wajid Ali
Assistant Professor Department of Islamic Studies, Superior University Faisalabad Campus.
Email: wajidasadi@gmail.com

Received on: 05-01-2025 Accepted on: 08-02-2025

Abstract

The article "The Originatio of the Prophet's Praise from Beginning to this Time" the aim of this study is to investigate the origin of the Prophet's praise poetry and to examine its true beginning before the mission of the messenger of Allah and then to provide a brief and comprehensive overview of the most important of his poems and poems in the era of Islam. They also in addition to the purpose of praising to Messenger of Allah, it is alive, and we have followed in all this descriptive historical analytical opproch to achive the objective of the study and its purpose.

Keywords: The emergence, Prophet's Praise, Poems, Descriptive, Historical, Apprach, Objective.

مفهوم المديح النبوي:

المديح النبوي هو الشعر الذي ينصب على مدح النبي (ﷺ) بصفاته الخلقية والخَلقية وإظهار الشوق لرؤيته وزيارة قبره والأماكن المقدسة التي ترتبط بحياة الرسول (ﷺ)، مع ذكر معجزاته المادية والمعنوية ونظم سيرته شعرا والذكر في الشعر بغزواته وصفاته المثلى والصلاة عليه تقديرا وتعظيما.

ويظهر الشاعر المادح في هذا النوع من الشعر الديني تقصير ذاته في أداء واجباته الدينية والدنيوية، ويذكر عيوبه وزلاته المشينة وكثرة ذنوبه في الدنيا، مناجيا الله بصدق وخوف مستعطفا إياه طالبا منه التوبة والمغفرة. وينتقل بعد ذلك إلى الرسول (ﷺ) طامعا في وساطته وشفاعته يوم القيامة. وغالبا ما يتداخل المديح النبوي مع قصائد التصوف وقصائد المولد النبوي التي تسمى بالموليات.

وتعرف المدائح النبوية كما يقول الدكتور زكي مبارك بأنها فن: "من فنون الشعر التي أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن

العواطف الدينية، وباب من الأدب الرفيع؛ لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مليئة بالصدق والإخلاص."[1]

ومن المعهود أن هذا المدح النبوي على صاحبها الصلاة والسلام الخالص لا يشبه ذلك المدح الذي كان يسمى بالمدح التكسبي أو مدح التملق الموجه إلى السلاطين والأمراء والوزراء، وإنما هذا المدح خاص بأفضل خلق ألا وهو محمد (ﷺ) ويتسم بالصدق والمحبة والوفاء والإخلاص والتضحية والانغماس في التجربة العرفانية والعشق الروحاني اللدني.

نشأة المديح النبوي:

ظهر المديح النبوي في المشرق العربي مبكرا مع مولد الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وأذيع بعد ذلك مع انطلاق الدعوة الإسلامية وشعر الفتوحات الإسلامية إلى أن ارتبط بالشعر الصوفي كما قال الشعر ابن الفارض والشريف الرضي. ولكن هذا المديح النبوي لم ينتعش ويزدهر ويترك بصماته إلا مع الشعراء المتأخرين وخاصة مع الشاعر البوصيري في القرن السابع الهجري الذي عارضه كثير من الشعراء الذين في عصره أو جاؤا بعده. ولاننسى في هذا المضمار الشعراء المغاربة والأندلسيين الذين كان لهم سهم كبير في المديح النبوي منذ الدولة المرينية.

وهناك اختلاف بين الباحثين حول نشأة المديح النبوي، فهناك من يقول بأنه إبداع شعري قديم ظهر في المشرق العربي مع الدعوة النبوية والفتوحات الإسلامية كشعر حسان بن ثابت وكعب بن مالك وكعب بن زهير وعبد الله بن رواحة وغيرهم رضوان الله عليهم.

وهناك من يذهب إلى أن هذا المديح فن مستحدث لم يظهر إلا في القرن السابع الهجري مع البوصيري وابن دقيق العيد. [2]

مرجعيات المديح النبوي:

قبل التغلغل في أعماق شعر المديح النبوي لابد أن نستقرىء المرجعيات التناصية المباشرة وغير المباشرة التي شكلت رؤية شعراء هذا الفن وخاصة في القديم والحديث، ولا بد من تحديد المتناص أو المصادر الشعرية القديمة والحديثة التي اعتمد عليها الشعراء في نظم قصائدهم النبوية. فتبيان المعرفة الخلفية ضرورية لفهم النص الشعري قصد خلق انسجامه واتساقه، لأنه بمثابة آلية إستراتيجية في تحليل النص الأدبي وتفكيكه.

ويتضح بعد قراءة قصائد ودواوين المديح النبوي عبر تعاقبه التاريخي والفني أنه كان يستوحي مادته الإبداعية ورؤيته الإسلامية من القرآن الكريم أولا فالسنة النبوية الشريفة ثانيا. كما أن هناك مصدرا مهما في نسج قصائد المديح النبوي يتمثل في كتب التفسير التي فصلت حياة الرسول (ﷺ) تفصيلا كبيرا كما يظهر ذلك جليا في تفسير ابن كثير على سبيل التمثيل، بله عن كتب السيرة التي تتمثل في مجموعة من الوثائق والمصنفات التي كتبت حول سيرة الرسول (ﷺ) سواء أكانت قديمة أم حديثة وأذكر على سبيل المثال: "السيرة النبوية" لابن هشام، وسيرة ابن اسحق و"الرحيق المختوم" لصفي الرحمن، و"السيرة النبوية" لأبي الحسن الندوي، و"السيرة النبوية" لابن حبان، و"الوفاء بأحوال المصطفى" لأبي الفرج عبد الرحمن الجوزي، و"الشفا بتعريف حقوق المصطفى" للقاضي عياض، و"فقه السيرة" لسعيد البوطي، و"فقه السيرة" لمحمد الغزالي، و"السيرة النبوية" لمحمد متولي الشعراوي، و"المنهج الحركي للسيرة النبوية" لمنير محمد الغضبان، و"السيرة النبوية: دروس وعبر" للدكتور مصطفى السباعي، و"نور اليقين" للخضري بك، و"في السيرة النبوية: قراءة لجوانب الحذر والحماية" للدكتور إبراهيم علي محمد أحمد، و"ملخص السيرة النبوية" لمحمد هارون وغيرهم.

تطور المديح النبوي في الشعر العربي القديم:

أوّل ما من قال الشعر أو صاف النبي صلّى الله عليه وسلم هو جده ما قاله عبد المطلب إبان ولادة محمد صلى الله عليه وسلم، إذ شبه ولادته بالنور والإشراق الوهاج الذي أنار الكون سعادة وحبورا، يقول عبد المطلب:

وأنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق

فنحن في ذلك الضياء وفي النور وسبل الرشاد نخترق[3]

وتعود أشعار المديح النبوي إلى بداية الدعوة الإسلامية مع قصيدة "طلع البدر علينا"، وقصائد شعراء الرسول (ﷺ) كحسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وكعب بن زهير صاحب اللامية المشهورة: عدد أبيات قصيدته ٣٧ فاستفتح قصيدته قائلا:

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم إثرها لم يفد مكبول

وختم بهذا البيت:

لا يقطع الطعن الآفي مخورهم ما إن لهم عن حياض الموت تهليل[4]

وقد استحقت هذه القصيدة المدحية المباركة أن تسمى بالبردة النبوية؛ لأن الرسول (ﷺ) كسا صاحبها ببردة مطهرة تكريما لكعب بن زهير وتشجيعا للشعر الإسلامي الملتزم الذي ينافح عن الحق وينصر الإسلام وينشر الدين الرباني.

ونستحضر قصائد شعرية أخرى في هذا الباب كقصيدة الدالية للأعشى التي مرغوبة عند الأدباء وعدد أبياتها ٢٤، ومطلعها:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرمدا وعاداك ما عاد السليم المسهدا

وختامه:

ولا تقربنّ جارة إنّ سرّها عليك حرام فانكحن أو تأبّدا[5]

ومن أهم قصائد حسان بن ثابت في مدح النبي الكريم (صلى الله عليه وسلم) عينيته المشهورة في الرد على خطيب قريش عطارد بن حاجب، وعدد أبيات هذه القصيدة خمسة وعشرون بيتا مطلعها:

إن الذوائب من فهر وإخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع

وختام ذلك القصيدة هذا البيت:

طوى أبرق العزاف يرعد متنه حنين المتالي نحو صعت المشايع[6]

ولا ننسى همزيته المشهورة في تصوير بسالة المسلمين ومدح الرسول (ﷺ) والإشجاع بالمهاجرين والأنصار والتي مطلعها:

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خلاء

ومقطع هذه القصيدة ذلك البيت:

لساني صارم لا عيب فيه وبحري لا تكده الدلاء[7]

ومن أهم شعراء المديح النبوي في العصر الأموي الفرزدق ولاسيما في قصيدته الرائعة الميمية التي نواه فيها بآل البيت واستعرض سمو أخلاق النبي الكريم وفضائله الرائعة، ويقول في مطلع القصيدة:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

ومقطع هذه القصيدة لزين العابدين رضى الله عنه هذا:

هم الغيوث إذا ما أزمة أزمت والأسد أسد الثّرى، وألبأس محترم[8]

وقد ارتبط مدح النبي (ﷺ) بمدح أهل البيت وتعداد مناقب بني هاشم وأبناء فاطمة كما وجدنا ذلك عند الفرزدق والشاعر الشيعي الكميت الذي قال في بائيته، وذلك القصيدة من الطويل وعدد أبياتها ١٤٠ ومطلعها هذا:

طربت وما شوقا إلى البيض أطرب ولا لعبا مني وذو الشوق يلعب

ومقطع هذه القصيدة ذلك البيت:

إذا ما قضت من أهل يثرب موعدا فمكة من أوطانها المحصّب[9]

ويندرج ضمن هذا النوع من المدح تائية الشاعر الشيعي دعبل التي مدح فيها أهل البيت قائلا في مطلعها:

مدارس آيات خلت من تلاوة ومنزل حي مقفر العرصات

لآل رسول الله بالخيف من منى وبالبيت والتعريف والجمرات[10]

ويذهب الشريف الرضي مذهب التصوف في مدح الرسول (ﷺ) وذكر مناقب أهل البيت وخاصة أبناء فاطمة الذين رفعهم الشاعر إلى مرتبة كبيرة من التقوى والمجد والسؤدد كما في داليته التى مطلعها:

هذي المنازل بالغيم فنادها واسكب سخي العين بعد جمادها

شغل الدموع عن الديار بكاؤنا لبكاء فاطمة على أولادها

وآخر بيته:

أغنى طلوع الشمس عن أوصافها بجلالها وضيائها وبعادها[11]

ويقول أيضاً في لاميته الزهدية المشهورة التي مطلعها:

راجل أنت والليالي نزول ومضربك البقاء الطويل

وختم على هذا البيت:

هو سؤالي ان اسعد الله جدي ومعالي الأمور للزمر سول[12]

وللشاعر العباسي مهيار الديلمي عشرات من القصائد الشعرية في مدح أهل البيت وإنشد بخلال الرسول (ﷺ) وصفاته الحميدة التي لا تضاهى ولا تحاكى. وكان مجوسيّا وأسلم على يد شريف الرضي وتوفي سنة ٤٢٨ هـ.

ولكن يبقى محمد بن سعد البوصيري الذي عاش في القرن السابع من الهجرة من أهم شعراء المديح النبوي ومن المؤسسين الفعليين للقصيدة المدحية النبوية والقصيدة المولدية كما في قصيدته الميمية الرائعة فاستفتح قصيدته قائلا:

أمن تذكر جيران بذي سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

أم هبت الريح من تلقاء كاظمة وأومض البرق في الظلماء من إضم

ومقطعها هذا البيت:

ما رنّحت عذبات البان ريح صبا وأطرب العيس حادي العيس بالنّغم[13]

وقد عورضت هذه القصيدة من قبل الكثير من الشعراء القدامى والمحدثين والمعاصرين، ومن أهم هؤلاء الشعراء محمد بن أحمد بن جابر الأندلسي في ميميته البديعية التي استعمل فيها المحسنات البديعية بكثرة في معارضته الشعرية التي مطلعها:

بطيبة انزل ويمم سيد الأمم وانشر له المدح وانثر أطيب الكلم[14]

ومن شعراء المديح النبوي المتأخرين الذين عارضوا ميمية البوصيري عبد الله الحموي الذي عاش في القرن التاسع وكان مشهورا بميميته:

شدت بكم العشاق لما ترنموا فغنوا وقد طاب المقام وزمزم[15]

ومن الشعراء الذين طرقوا غرض المديح النبوي الشاعر محمد بن محمد بن محمد الحسن ابن نباتة المصري، هو من شعراء العصر المملوكي في مصر في القرن الرابع عشر الميلادي. فقد ترك لنا خمس قصائد في المديح النبوي كهمزيته التي مطلعها:

شجون نحوها العشاق فاءوا وصب ماله في الصبر راء

ورائيته التي مطلعها:

صحا القلب لولا نسمة تتخطر ولمعة برق بالغضا تتسعر

وعينيته التي مطلعها:

يا دار جيرتنا بسفح الأجرع ذكرتك أفواه الغيوث الهمع

ولاميته التي مطلعها:

ما الطرف بعدكم بالنوم مكحول هذا وكم بيننا من ربعكم ميل

والميمية التي مطلعها:

أوجز مديحك فالمقام عظيم من دونه المنثور والمنظوم[16]

شعر المديح النبوي في الأدب المغربي والأندلسي:

إذا انتقلنا إلى الأدب المغربي لرصد ظاهرة المديح النبوي، فقد كان الشعراء المغاربة سباقين إلى الاحتفال بمولد النبي (صلى الله عليه وسلم) ونظم الكثير من القصائد في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) وتعداد مناقبه الفاضلة وذكر صفاته الحميدة وذكر سيرته النبوية الشريفة وذكر الأمكنة المقدسة التي وطئها نبينا المحبوب. وكان الشعراء يستفتحون القصيدة النبوية بمقدمة غزلية صوفية يتشوقون فيها إلى رؤية الشفيع وزيارة الأمكنة المقدسة ومزارات الحرم النبوي الشريف، وبعد ذلك يصف الشعراء المطية ورحال المواكب الذاهبة لزيارة مقام النبي الزكي، وينتقل الشعراء بعد ذلك إلى وصف الأماكن المقدسة ومدح النبي (ﷺ) مع عرضهم لذنوبهم الكثيرة وسيئاتهم العديدة طالبين من الحبيب الكريم الشفاعة يوم القيامة لتنتهي القصيدة النبوية بالدعاء والتصلية.

ومن أهم الشعراء المغاربة الذين اشتهروا بالمديح النبوي نستحضر مالك بن المرحل كما في ميميته المشهورة التي يعارض فيها قصيدة البوصيري الميمية:

شوق كما رفعت نار على علم تشب بين فروع الضال والسلم[17]

ويقول في قصيدته الهمزية مادحا النبي (ﷺ):

إلى المصطفى أهديت غر ثنائي فيا طيب إهدائي وحسن هدائي

أزاهير روض تجتنى لعطارة وأسلاك در تصطفى لصفاء[18]

ونذكر إلى جانب عبد المالك بن المرحل الشاعر السعدي عبد العزيز الفشتالي الذي يقول في إحدى قصائده الشعرية:

محمد خير العالمين بأسرها وسيد أهل الأرض والإنس والجان[19]

أما القاضي عياض فقد خلف مؤلفات عديدة وقصائد أغلبها في مدح الرسول (ﷺ) والتشوق إلى الديار المقدسة كما في قصيدته الرائية:

قف بالركاب فهذا الربع والدار لاحت علينا من الأحباب أنوار[20]

ومن شعراء الأندلس الذين اهتموا بالمديح النبوي وذكر الأماكن المقدسة لسان الدين بن الخطيب الذي يقول في قصيدته الدالية:

تألق "نجديا" فاذكرني "نجدا" وهاج لي الشوق المبرح والوجدا

ومض رأى برد الغمامة مغفلا فمد يدا بالتبر أعلمت البردا[21]

المديح النبوي في العصر الحديث:

من يتأمل دواوين شعراء خطاب البعث والإحياء أو ما يسمى بشعراء التيار الكلاسيكي أو الاتجاه التراثي فإنه سيلفي مجموعة من القصائد في مدح الرسول (ﷺ) تستند إلى المعارضة تارة أو إلى الإبداع والتجديد تارة أخرى. ومن الشعراء الذين برعوا في المديح النبوي نذكر: محمود سامي البارودي وأحمد شوقي وحافظ إبراهيم ومحمد الحلوي وآخرين كثيرين...

فمن قصائد محمود سامي البارودي قصيدته الجيمية التي يقول فيها:

يا صارم اللحظ من أغراك بالمهج حتى فتكت بها ظلما بلا حرج

ما زال يخدع نفسي وهي لاهية حتى أصاب سواد القلب بالدعج

طرف لو أن الظبا كانت كلحظته يوم الكريهة ما أبقت على الودج

وهذه القصيدة هي في الحقيقة معارضة لقصيدة الشاعر العباسي الصوفي ابن الفارض التي مطلعها:

ما بين معترك الأحداق والمهج أنا القتيل بلا إثم ولا حرج

ومن قصائد محمود سامي البارودي في المديح النبوي قصيدته "كشف الغمة في مدح سيد الأمة" وعدد أبيات هذه القصيدة ٤٤٧، ومطلع القصيدة هو:

يا رائد البرق يمم دارة العلم واحد الغمام على حي بذي سلم

ومن الشعراء الآخرين الذين نظموا على منوال البردة الشيخ أحمد الحملاوي في قصيدته التي سماها كذلك بـ "منهاج البردة" ومطلعها:

يا غافر الذنب من جود ومن كرم وقابل التوب من جان ومجترم

ويحذو أحمد شوقي حذو البارودي في معارضة الشعراء القدامى في إبداع القصائد المدحية التي تتعلق بذكر مناقب النبي وتعداد معجزاته وصفاته المثلى كما في همزيته الرائعة التي مطلعها:

ولد الهدى فالكائنات ضياء وفي فم الزمان تبسم وثناء

ويقول في مولديته البائية:

سلوا قلبي غداة سلا وتابا لعل على الجمال له عتابا

ومن أحسن قصائد أحمد شوقي في مدح الرسول (ﷺ) قصيدته الميمية التي عارض فيها قصيدة البردة للبوصيري ومطلع قصيدة شوقي هو:

ريم على القاع بين البان والعلـــم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

ومن الشعراء المغاربة المعاصرين الذين مدحوا النبي (ﷺ) نذكر الشاعر المراكشي إسماعيل زويريق الذي خصص كتابين لسيرة الرسول (ﷺ) تحت عنوان: "على النهج"[22] يعارض فيهما شعراء المديح النبوي. ومن القصائد التي نظمها في المدح نذكر القصائد التالية:

- **قصيدة "بانت سعاد" التي يعارض فيها قصيدة كعب بن زهير:**

بانت سعاد فما للحزن تمهيـــل الدمع منسجل والجسم مهزول

- **قصيدة "البردة ياشاكي البان" يعارض فيها قصيدة البوصيري:**

ياشاكي البان كم في البين من سقم؟ شكواك تنساب لحنا دافـق الألم

- **قصيدة "المرتجية" كما في مطلع قصيدته الجيمية التي يعارض فيها القصيدة "المنفرجة" لابن النحوي:**

إن ضـــاق الأمـــــر فلاتهج فغدا قد يأتـــي بالفـــــــرج

- **قصيدة "في رحاب المدينة" التي عارض فيها قصيدة الهمزية للبوصيري:**

هـاتـها، مـا للـنـفس عنها غناء جابني الشوق حين عز الدواء

- **قصيدة "السينية في مدح خير البرية"، التي عارض فيها الشاعر سينية البحتري، ومطلع القصيدة هو:**

يجهر البين مـاتـخـفـى بنفسي فسقاني كأس الشجا بعد كأس

- **قصيدة "كل مديح فيه مختصر" وهي رائية الروي ومطلعها:**

رأيت كل مديح فيه مختصرا فمـاتـعـد سـجاياه وتختصر

- **قصيدة "الدالية في الرد على من أساء إلى الرسول برسوماته الكاريكاتورية" عارض فيها دالية أبي العلاء المعري ومطلعها:**

أما أعنى الذي رسموا الفؤادا فما للصمت يلزمني الحيادا.

خصائص المديح النبوي مضمونا:

من أهم مميزات المديح النبوي أنه شعر ديني ينطلق من رؤية إسلامية، ويهدف إلى تغيير العالم المعاش وتجاوز الوعي السائد نحو وعي ممكن يقوم على المرجعية السلفية بالمفهوم الإيجابي. كما أن هذا الشعر تطبعه الروحانية الصوفية من خلال التركيز على الحقيقة المحمدية التي تتجلى في السيادة والأفضلية والنورانية. ويعني هذا أن المديح النبوي يشيد بالرسول (ﷺ) باعتباره سيد الكون والمخلوقات، وأنه أفضل البشر خلقة وخلقا، وهو كذلك كائن نوراني في عصمته ودماثة أخلاقه. لذلك يستحق الممدوح كل تعظيم وتشريف، وهو أحق بالتمثل واحتذاء منهجه في الحياة، كما أن عشق الرسول (ﷺ) في القصيدة النبوية يتخذ أبعادا روحانية وجدانية وصوفية.

ويلاحظ على الغزل الموجود في كثير من القصائد النبوية أو المولدية أنه غزل يتجاوز النطاق الحسي الملموس إلى ماهو مجازي وإيحائي. أي ينتقل هذا الغزل من النطاق البشري إلى نطاق الحضرة الربانية.

ويسافر شعر المديح النبوي في ركاب الدعوة المحمدية وشعر الفتوحات الإسلامية ليعانق التيارات السياسية والحزبية فيتأثر بالتشيع تارة والتصوف تارة أخرى. ولن يجد هذا الشعر استقراره إلا مع شعراء القرن التاسع الهجري مع البوصيري وابن دقيق العيد. بيد أن شعر المديح النبوي سيرتبط في المغرب بعيد المولد النبوي وشعر الملحون والطرب الأندلسي ليصبح في العصر الحديث شعرا مقترنا بالمعارضة في غالب الأحيان.

وعلى أي حال، يتميز المديح النبوي بصدق المشاعر ونبل الأحاسيس ورقة الوجدان وحب الرسول (ﷺ) طمعا في شفاعته ووساطته يوم الحساب. وما حب الرسول في القصيدة المدحية إلا مسلك للتعبير عن حب الأماكن المقدسة والشوق العارم إلى زيارة قبر الرسول (ﷺ) والوقوف على جبل عرفات والانتشاء بكل الأفضية التي زارها الحبيب أثناء مواسم العمرة والحج.

خصائص المديح النبوي شكلا:

تستند أغلب قصائد المديح النبوي إلى القصيدة العمودية القائمة على نظام الشطرين ووحدة الروي والقافية واعتماد التصريع والتقفية في المطلع الأول من القصيدة.

وتتسم القصائد النبوية والمولدية الحديثة ذات النمط الكلاسيكي أو التراثي بتعدد الأغراض والمواضيع على غرار الشعر العربي القديم، والسبب في هذا التعدد هو معارضة القصائد الأصلية كقصائد البوصيري وقصائد ابن الفارض وقصيدة كعب بن زهير وغيرها. وهذه المعارضة تدفع الشاعر إلى انتهاج نفس البناء والسير على نفس الإيقاع والروي والقافية واستخدام نفس الألفاظ والأغراض الشعرية. ومن ثم، فالقصيدة النبوية تتكون على مستوى البناء من المقدمة الغزلية ووصف المطية ومدح الرسول (ﷺ) والتصلية والدعاء والاستغفار والتوبة. وهذا ما أفقد المديح النبوي الوحدة الموضوعية والعضوية على الرغم من وجود الاتساق اللغوي على مستوى السطح الظاهري والانسجام على مستوى العمق الدلالي.

وفيما يخص الإيقاع الخارجي، تعتمد قصائد المديح النبوي على البحور الطويلة الجادة التي تتناسب مع الأغراض الجليلة الهامة كالمديح النبوي والتصوف الروحاني والتشيع لآل البيت، لذلك يستعمل شعراء المديح النبوي البحر الطويل والبحر البسيط والبحر الكامل والبحر الوافر والبحر الخفيف. وبعد البحر البسيط من أهم البحور المفضلة لدى شعراء المديح النبوي ولدى شعراء المعارضة. ومن المعلوم أن البردة التي نظمها الشاعر البوصيري كانت على البحر البسيط، لذلك أصبحت هذه القصيدة نموذجا يقتدى به في الشعر العربي الحديث من قبل شعراء المديح النبوي موضوعا وإيقاعا وصياغة.

ومن أهم القوافي التي استعملت كثيرا في الشعر النبوي الميم والسين واللام والتاء والهمزة والجيم. وهي قوافي صالحة وطيعة لرصد التجربة الشعرية المولدية أو النبوية أو الصوفية الروحانية ماعدا قافية الجيم التي تثير جرسا خشنا ونشازا شاعريا.

وعلى مستوى الإيقاع الداخلي، فشاعر المديح النبوي يستعمل بكثرة ظاهرة التصريع والتوازي الصوتي والتكرار الإيقاعي والجمع بين الأصوات المهموسة والأصوات المجهورة. وينسجم هذا الإيقاع الشعري بكامله مع الجو الموسيقي والنفسي والدلالي للقصائد المدحية.

وتمتح اللغة الشعرية ألفاظها المعجمية في قصيدة المديح النبوي من حقل الدين وحقل الذات وحقل العاطفة وحقل الطبيعة وحقل المكان وحقل التصوف. كما يمتاز المعجم الشعري بالجزالة وفخامة الكلمات وقوة السبك ورصانة الصياغة وهيمنة المعجم التراثي وغلبة الألفاظ الغريبة غير المألوفة. لذلك يغلب الجانب التراثي والبيان السلفي على هذا الشعر

الديني كتابة وتعبيرا وصياغة.

ويستخدم هذا الشاعر المادح لرسول الله (ﷺ) الجمل الفعلية الدالة على التوتر والحركية والجمل الاسمية الدالة على الإثبات والتأكيد، ونجد كذلك المزاوجة بين الأساليب الخبرية والإنشائية قصد خلق الوظيفة الشعرية بمكوناتها الإيحائية والمجازية. وغالبا ما يستوجب مكون السيرة وسرد المعجزات الأسلوب الخبري، بينما يفترض تدخل الذات وإظهار المشاعر والانطباعات الانتقال من أسلوب إنشائي إلى آخر حسب السياقات المقصدية والوظيفية.

ويشغل شعر المديح النبوي الصور الشعرية الحسية القائمة على المشابهة من خلال استخدام التشبيه والاستعارة، والاستعانة بالصورة المجاورة عبر المزج بين المجاز المرسل والكناية الإحالية في التصوير والبيان. ويمكن أن تتخذ الصور البلاغية ذات النطاق الحسي طابعا رمزيا خاصة في المقاطع الصوفية العرفانية. ويتراوح البديع في المديح النبوي بين العفوية المطبوعة والتصنع الزخرفي في القصائد المدحية البديعية التي نظمت في العصور المتأخرة كما عند ابن جابر الأندلسي في ميميته البديعية.

وينتقل الشاعر تداوليا في قصائده المدحية من ضمير المتكلم الدال على انفعالية الذات والانسياق وراء المناجاة الربانية والاستعطاف الذاتي إلى ضمير المخاطب أو الغياب للتركيز على الممدوح وصفا وإشادة وتعظيما.

نتائج البحث:

ويتضح لنا - مما سبق ذكره - أن شعر المديح النبوي شعر صادق بعيد عن التزلف والتكسب، يجمع بين الدلالة الحرفية الحسية والدلالة الصوفية الروحانية. كما يندرج هذا الشعر ضمن الرؤية الدينية الإسلامية، ويمتح لغته وبيانه وإيقاعه وصوره وأساليبه من التراث الشعري القديم. مما أسقط هذا الشعر في كثير من الأحيان في التكرار والابتذال والاجترار بسبب المعارضة والتأثر بالشعر القديم صياغة ودلالة ومقصدية.

وعلى الرغم من ذلك، فقد استطاع بعض الشعراء أن يتفوقوا في شعر المديح النبوي كمحمود سامي البارودي وأحمد شوقي والشاعر المغربي إسماعيل زويريق في مجموعته الشعرية الطويلة المتسلسلة "على النهج...".

وعليه، فالمديح النبوي شعر ديني يركز على سيرة النبي (ﷺ) وفضائله النيرة، وقد رافق هذا الشعر مولده وهجرته ودعوته، كما واكب فتوحاته وحب آل البيت فانصهر في شعر التصوف ليصبح فنا مستقلا مع البوصيري وابن دقيق العيد. وفي العصر الحديث، ارتبط هذا الشعر بالمناسبات الدينية وعيد المولد النبوي، وفي نفس الوقت خضع لمنطق المعارضة المباشرة وغير المباشرة.

بيد أن السؤال الذي يتبادر إلى أذهاننا: إلى أي مدى يمكن الحديث عن المديح النبوي في الشعر المعاصر، أي في قصيدة التفعيلة والقصيدة النثرية؟ وهل ثمة حضور لشخصية الرسول (ﷺ) بالصورة التي وجدناها في الشعر التراثي القديم أو الشعر البياني الحديث أم بصورة أخرى مخالفة؟ هذا ما سنعرفه في مقالات لاحقة إن شاء الله.

التوصيات:

- والتي يتضح من هذا المبحث أن في العالم كثير من الشعراء من المادحين للنبي ﷺ. ولنا أن تدرس أشعارهم على تلك الموضوعات:

1) إجراء دراسة تحليلية وفنية لشعر المديح النبوي عند شعراء العصر الحديث.

2) إجراءدراسةعنالشاعراتفىالمديحالنبويقديماوحديثا.

3) هوفنمحبةالرسولفعلمواأولادكمالمديحالنبوي.

4) شعراءالمديحالنبويفىباكستانوالهندمقارنة.

References

1. Dr. Zaki Mubarak, Al-Madaieh Al-Nabavia Fi Al-Adab-ul-Arabi, Manshorat Al-Maktaba Al-Asariya, Saida Berut, 1935, P.17.
2. Dr. Abbas Al-Jarary, Al-Adab-ul-Magrabi, Min Khelal Zawaheruho Wa Qazayaho, Mtba'a Al-Najah Al-Jadidah, Al-Darul-Baiza, 1982, P.141.
3. Ibid, P.142.
4. Dewan Ka'ab Bin Zuhair, Matba'a Dar-ul-Kutab Al-Ilmiya, Berut, Labnan, 2009, P.6.
5. Shauki Zaif, Tarikh-ul-Adab Al-Arabi Al-Asar-ul-Jaheli, Dar-ul-Ma'arif, Eygpt, 1974, P.341-342.
6. Hassan Bin Sabit, Dewan Hassan, Dar-ul-Ma'arifa, Berut, Labnan, 2007, P.158.
7. Ibid, P.13.
8. Al-Frazduq Humam Bin Ghalib, Dewan Al-Frazduq, Dar-ul-Kutab Al-Ilmiya, Berut, Labnan, 1987, P.511-513.
9. Abu Al-Farag Al-Asfahani, Al-Aghani, Dara Sader Berut, 2008, Vol.15, P.125.
10. Al-Imam Abdul Wahab Shu'rani, Kashf-ul-Ghuma, Dar-u-Taqwa, Demashaq, Vol.3, P.152-153.
11. Al-Shareef Al-Razi, Al-Dewan, Al-Maktaba Al-Usmania, Berut, 1207H.D, P. 278-282.
12. Ibid, P.658-660.
13. Al-Imam Sharf-u-Din Muhammad Bin Saeed Al-Busairi, Burdah Tul Madeeh, Dar-ul-Quran Wa Al-Nashr, Al-Azhar, P.1-37.
14. Ibn-e-Jabar Andulusi, Nazm-ul-Aqdain Fi Madhe Sayed-ul-Kaunain, Dara Sa'ad-u-Din Lil Taba'a Wa Al-Nashr, P.376.
15. Zaki Mubarak, Al-Madaeh-u-Nabaviya Fil Adab-ul-Arabi, Al-Shirkat-ul-Aalmiya Lilnashr, Longman. 1991, P.211.
16. Ibn-e-Nabatah Al-Misri, Dewan, Dara Ehya-u-Turas Al-Arabi, Berut Labnan, Without year of Publishing, P.1-3.
17. Lisan-u-Din Bin Al-Khateeb, Al-Ehatah Fi Akhbar Garnatah, (Tehqiq: Muhammad Abdullah Anan, Maktaba Al-Khan Jee, Al-Qahirah, 1975, Vol.3, P.314, 315.
18. Muhammad Bin Taveet, Al-Wafi Bil Adab Fi Al-Magrib Al-Aqsa, Dar-u-Saqafa Al-Baiza 1982, P.339-340.
19. Abdul Aziz Al-Fashtali, She'r Abdul Aziz Al-Fashtali, (Jama Wa Derasa Wa Tehqiq: Najah-ul-Marini), P.420-428.
20. Al-Qasidah Min Makhtoot Bil Khazana Al-Aama Bir-Rebat Fi Majmu Min Waraqa 166-168.
21. Lisan-u-Din Bin Al-Khateeb, Dewan Lisan-u-Din Bin Al-Khateeb, (Tehqiq: Dr. Muhammad Miftah), Dar-u-Saqafa Al-Baiza, 1989, P.350, 351.
22. Ismaeel Zawirique, Ali Al-Nahaj, Vol.1&2, 2004, 2006, Matba'a Walyla, Marakash, -u-Din Bin Al-Khateeb, (Tehqiq: Dr. Muhammad Miftah), Dar-u-Saqafa Al-Baiza, 1989, P.350, 351.